الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

استعادة

فواعل (العنف) بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣

جاسم العايف

نتطرق هنا إلى فواعل (العنف) في العراق بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣، وما آلت إليه عملية تدمير بُنية الدولة، بسبب سياسة قوات التحالف التي اجتاحت العراق وبات عرضة للتخريب والنهب، ولتدخل مباشر، من قبل دول الجوار أو من ينوب عنها. وأعقب تلك الكارثة إجراءات، ما زال العراقيون يدفعون أثمانها من دمائهم وقوتهم وحياتهم ومستقبلهم، وربما شكل بلدهم مستقبلاً، وكان يمكن في الأقل تحاشي بعضها، من قبل النخب السياسية التي قادتها عملية التغيير إلى قمة السلطة على وفق تقسيمات طائفية وعرقية، ما حول العراق إلى ساحة صراع وتصفية حسابات بين قوى إقليمية- دولية ذات مصالح متضاربة.

ساحة الفردوس

وباتت الأرض العراقية مناخاً جاذباً لقوى الإرهاب العالمي، وتشكلت الميليشيات الطائفية، والعصابات والمافيات، وتم اختلاس وتبديد مليارات الدولارات.

ان الوقائع اليومية تكشف الدمار الواسع الذي لحق بالعراقيين، كما جاء ذلك بموجب تقارير دولية مدنية حيادية، ورسمية محلية ومنها (وزارة حقوق الإنسان في العراق)، إذ جاء على موقعها في شبكة الانترنت العالمية انه و: " منذ بداية عام ٢٠٠٤ ولغاية الحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول عام ٢٠٠٨ قُتل من العراقيين أكثر من خمسة وثمانين ألفاً، وعدد الجرحى ما يقرب من مئة وخمسين الفاً"، و كشف التقرير بأن: " عدد المسجلين لدى الوزارة كمفقودين يتجاوز العشرة آلاف". كما جاء في التقرير "خلال تلك الفترة، فقط، تم قتل ٢٦٣ من أساتذة الجامعات و٢١ من القضاة و٩٥ من المحامين وأكثر من ٢٨٩ صحفياً وإعلامياً". وترى بعض الجهات الدولية المستقلة إن هذه الأرقام لا تمثل الحقيقة كاملة، وهي أدنى مما هو في الواقع، وتضيف:" أن في العراق حوالي، مليون أرملة، عدا أرامل الحروب السابقة، نصفهن في العقد الثلاثيني من أعمارهن". وتم وفي عمليات فرز طائفي مقيت تهجير مئات الألوف من منازلهم ومدنهم وقراهم، ولجأ حوالي مليون عراقي إلى دول الجوار. مع قتل وتصفيات يومية مذهبية- طائفية، تعود لأزمنة الصراع التركي- الفارسي على الأرض العراقية، وفرق جوالة للموت تصطاد الكفاءات والعقول العراقية، أياً كانت، مع تدمير شامل للمنشآت والبنية الاقتصادية، وتهريب متواصل لآثار العراقيين. وسعى الإرهاب الدولي، للهيمنة على جزء من ارض العراق.

وثمة فساد للذمم والفوضى اتسمت بها الساحة السياسية و الوظيفية العراقية، وضعف المنظومة الأمنية للدولة، التي تعنى بالتعامل مع العراقيين على وفق حق المواطنة. لقد تم تكريس سيطرة القوى السياسية (الدينية- الطائفية) على مفاصل الحياة في الشارع العراقي، عبر انتخابات نيابية جرت في غير أوانها، وبأجواء شحن وغليان ديني- طائفي- قومي، كما تمت كتابة الدستور العراقي بعجالة غريبة باشتراط تعديله خلال ستة أشهر، وهو ما لم يحدث حتى الآن ولا يبدو ذلك قريباً. وبات العراقي، يخضع لتمييز عمد إليه النظام المباد سابقاً، من خلال احتكار فرص العمل والوظائف، وجعله حكراً على من يتحكم في مفاصل تلك الوزارة أو هذه المؤسسة. يمكن الوثوق بأن الدولة العراقية، وبعد انهيارها التام في ٢٠٠٣/٤/٩، لم تؤسس حتى الآن، والمقصود بها الدولة المعنية بالمواطنة العراقية دون تمييز مهما كان، و هناك محاولات مستميتة لعرقلة تأسيسها، على وفق القانون وما يترتب عليه من حقوق وواجبات، من بعض القوى في داخل العملية السياسية الحالية،الموزعة على الشكل الحالي للمؤسسات، التي يمكن عبرها أن تنهض الدولة الحديثة: دستور دائم، رئاسة، مجلس وزراء، برلمان،قضاء مستقل، ومنظمات مجتمع مدني لا علاقة للسلطة التنفيذية بنشاطها بل هي التي تحد من خروقاتها وطغيانها، وإعلام مستقل وحيادي ومهني ويسعى للوصول الى المعلومة بشفافية و معني بصياغة توجهات الرأي العام لتفعيل وترسيخ القيم الوطنية المدنية الديمقراطية.

إن أسس دولة العشرينيات العراقية لن تعود قطعاً، ناهيك عن عدم صلاحيتها حالياً، وهي - الدولة العراقية الديمقراطية المدنية المأمولة- لن تُبنى، بالثأر أو الانتقام من العراقيين، ولا على أوهام الكثرة واحتكار الهوية أو المظلومة التاريخية، واستغلال هشاشة سلطة المركز، وتعدد مصادر قراراته، وعدم انسجامها. بعد كل هذا التدمير والموت والخراب الذي لم تسلم منه أي بقعة في العراق، يُلاحظ إن الغالبية العراقية، لم تستجب لدعوى ومشاريع بعض السياسيين، في مجلس النواب بالذات، لتفتيت النسيج الاجتماعي العراقي، وبات الوعي الاجتماعي الشعبي في الشارع أكثر إخلاصا للعراق ووحدة نسيجه الاجتماعي المتعدد منهم.

غالبية العراقيين ممن يهمهم مستقبل العراق، لا يُشغلهم حالياً مبررات حرب التحالف في إسقاط النظام البعثي - الصدامي، ولا ثمة منهم مَنْ يسأل حول شرعيتها وحجتها قانونياً أو دولياً، فلا ماض تليد خَلفهُ أو أبقاه، حزب البعث وصدام، ودولتهما (القومية) بيننا، وما جرى للعراق وفيه بعد٩ نيسان ٢٠٠٣ قد جرى، فبنية وركائز الدولة العراقية المبنية على الدستور الدائم، مهما كان شكله أو القوى التي تُكيفه لمصالحها في العهد الملكي والفصل بين السلطات، قد تآكلت منذ ١٤ تموز ١٩٥٨- بغض النظر عن المُسمى لما حدث صباح ذلك اليوم- وأُجهز على ما بقي منها في ١٧ تموز١٩٦٨، وتم محوها تماما،على يد صدام و حتى الخارطة الجغرافية،المتوارثة للعراق، حدوداً أرضيةً وماءً، قُضمت وتقلصت بسببه وفي زمنه. غير انه يلاحظ، حالياً، تلمس بعض الآفاق في الحياة العامة، أهمها التحسن النسبي في الوضع الأمني،مع ما تحدثه بعض الاختراقات الأمنية من أسى ولوعة وخسائر بشرية ومادية، ويترافق ذلك مع استشراء الفساد والذمم وأزمات الخدمات العامة وارتفاع مستوى البطالة، كل ذلك يؤرق العراقيين، ويضعف الاستقرار الاجتماعي فيه، وبدا الطيف السياسي، خاصة في مجلس النواب، نائياً عن مشاكل ومصاعب الحياة اليومية الشاقة لشرائح واسعة من العراقيين.

منذ ٩/نيسان/ ٢٠٠٣ بات العراق ووقائع الحياة اليومية الجارية فيه محط أنظار العالم. ومهما نأت بقعة عراقية فان ثمة مَنْ يُسلط على ما يحدث فيها الضوء لغرض تحاشي مسبباتها دعماً لإقامة نظام إنساني- عادل واعد يتسم بشفافية الحياة المدنية وينأى بالعراقيين عن حاضر دام، وماض قاس لم يتحصل لهم منه سوى إكراهات السلطات المتعاقبة وتعسفها. ومن أجل تمتين القيم الديمقراطية الناشئة في العراق، دون تراث راسخ يُعتد به، تعمل بعض المنظمات المدنية، على وفق ما متاح من هامش الحياة المدينة وتهرؤ جدران العزلة، على متابعة و رصد المشهد العراقي والتباساته وتحولاته القاسية المريرة. تبدو دراسة وقائع العنف في المشهد العراقي حاضراً ورصدها محفوفة بمخاطر عدة، قسم منها يتعلق بموضوعة الرصد ذاتها، والآخر يندرج بالتوصيف وحدوده ودراسته لغرض تحليله واستخلاص نتائجه. في ظل تكريس وتفعيل الاستقطابات الطائفية و المذهبية و المناطقية و العشائرية والحزبية تبدو دراسة ورصد المشهد العراقي الحالي معقدة وشاقة إلى الحد الذي يضعها في دائرة الشكوك وسوء النوايا والتباسات المقاصد من قبل فئات وجماعات، منتفعة بالتحكم بالسلطة ومغرياتها ومنافعها، و تَرى إن وضع الحقائق والوقائع الموثقة، أمام الرأي العام يحط من توجهاتها ويقلل شرعيتها والتفاف الناس حولها.

والمشقة في رصد الواقع العراقي تأتي من توفر عوامل عدة مؤثرة فيه منها القوات الأجنبية وطبيعة السلطة وتوجهاتها والقوى السياسية وتعدد مرجعياتها ومكوناتها الاجتماعية وكثرة وتنوع الجماعات المسلحة - قبل التصدي لبعضها من قبل الحكومة المركزية في بعض المدن والقصبات العراقية، وكذلك تأسيس (الصحوات) بالاتفاق مع القوات الأمريكية لمواجهة الجهات الإرهابية -. كل ذلك افرز ظواهر وحالات ملتبسة متداخلة، بعضها لا تاريخ له في الواقع الاجتماعي العراقي وبعضها يُؤوّل لأسباب ودوافع سياسية واجتماعية معقدة، وبالتالي فان أي توصيف أو عبارة أو تحليل سيُعد في ضوء الاستقطابات تلك، قابلاً للتأويل ويمكن أن يعتبر "تحيزاً" ضد طرف ما، وسيقود إلى الاستنكار وربما ردود الأفعال القاسية، غير المحسوبة. ولتحاشي ذلك تحاول أي مجموعة مدنية مستقلة معنية بـ "رصد العنف و فواعله الراهنة في الوضع العراقي" أن تعمل بالـ "حيادية والمعلومات الموثقة".

في محور (العنف) يلاحظ التباين في التعريفات التي يقدمها المعنيون بعلم الاجتماع وعلم النفس لمصطلح العنف ويمكن التمييز بين نوعين من العنف. الأول: العنف المجتمعي الذي يركز على أسباب عدة منها اجتماعي وثقافي واقتصادي وسياسي. والثاني: ما يسمى بـ "العنف السياسي" وفيه يتم اعتماد وتوظيف العنف لأغراض سياسية، وهذا الأمر هو المعني بالرصد. لان العنف المجتمعي لا يمكن دراسته آنياً في العراق إلا عبر أبحاث ودراسات تقوم بها مراكز أكاديمية مستقلة متخصصة تستوجب مسوحات وإحصاءات وبيانات تاريخية وآنية للوضع العراقي واستطلاعات للرأي العام فيه تعمل عليها فرق بحثية متخصصة لا يمكن توفيرها حالياً أو على المستوى المنظور. يلاحظ أن العنف ومصادره و فواعله الظاهرة والجهات والأطراف المتحكمة به في العراق، منذ سقوط النظام البعثي،هي: القوات الأجنبية والجماعات المسلحة ذات الأيدلوجيات الدينية المتطرفة، من كل الجهات، وبقايا حزب البعث وأجهزته الأمنية والعسكرية المنحلة ومَنْ تحالف معها مؤخراً، ويضاف لها جهات مسلحة ذات توجهات دينية متزمتة برزت بعد سقوط النظام مدعية إنها تعارض التواجد العسكري الأجنبي في العراق وكذلك استغلت في توجهاتها الدينية المتشددة مسألة " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وحاولت فرض تصورها الخاص لهذه المسألة بطرق وحشية وعلى النساء خاصة، والمليشيات المسلحة التابعة لأحزاب وقوى مشاركة في العملية السياسية، والقوات الأمنية العراقية تحت أي مسمى، وقوات الحماية الخاصة المتعاقدة مع القوات الأجنبية في العراق، وكذلك حمايات المسؤولين العراقيين، وعصابات الجريمة المحلية والدولية، وهي تسعى جميعاً، كل بما متاح له من وسائل وإمكانات، تقويض أسس بناء دولة القانون والديمقراطية.

تاريخ

ماركس وأنجلس: صداقة في نور الفكر والحياة

(١-٢)

سعد محمد رحيم

بعد سنتين من ولادة ماركس (١٨١٨) ولد في بارمن الألمانية فردريك أنجلس (٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٢٠) في أسرة غنية، محافظة أرثوذكسية. ولم يُكمل دراسته في كلية إيبرفيلد، فتركها قبل سنة واحدة من تخرّجه لينخرط في الحياة العملية. ومثل ماركس رغب أنجلس في أن يكون شاعراً لكنه اكتشف مبكراً، أيضاً، أنه يفتقر إلى الموهبة التي هي الشرط الأولي ليكون أي امرئ شاعراً عظيماً. وكان فيه، في هذه المرحلة، بعض الطيش؛ يُكثر من الشراب، مع انشداد للحياة ومتعها الحسية. غير أن هذا الأمر لم يستغرقه كلياً. فقد كان حريصاً على الاغتراف من منابع الأدب والثقافة، ميالاً إلى الروح الجديدة في الأدب بممثليها بيك وغرون ولينو وإيمرمان وبلاتن وبورن وهاينه وغتزكوف. وله في رسائله تعليقات طريفة بهذا المضمار.

تحدر أنجلس من بيئة ذات تقوى دينية، وتشرب في طفولته تقاليد الأرثوذكسية ومعتقداتها. غير أنه سرعان ما دخل في صراع مع نفسه حينما بدأت الشكوك تساوره بوقوعه مثل أبناء جيله تحت وطأة التأثير الفكري الساحق لهيغل. رافضاً، وبحسب تعبيره، النزول من القمم المغطاة بالثلج بروعة شمس الصباح إلى وهاد الأرثوذكسية الضبابية. وانفصاله عن الكنيسة أدى به كما يؤكد فرانز مهرنغ إلى الهرطقة السياسية: "لا أتوقع شيئاً جيداً من أمير إلاّ ذاك الذي شجت ضربات الشعب رأسه وتحطمت نوافذ قصره بالثورة". هذا ما يقوله تعقيباً على خطاب أحدهم في مدح ملك بروسيا. وشرع يدبج المقالات ويرسلها إلى مجلتي (دويتشه ياربشر) و (راينخه تزايتونغ). ولكي لا يغيظ عائلته المحافظة اتخذ اسماً مستعاراً هو (فردريك أوزوالد). ونشر كراساً من خمس وخمسين صفحة (لم يحمل اسم مؤلفه) ضد شيلنغ الذي عمل على طرد الفلسفة الهيغلية من جامعة برلين. وكتب روغه في مدح الكرّاس الذي ظنه من تأليف باكونين قائلاً: "إن هذا الشاب يتفوق على كل الحمير المسنين في برلين".

أنهى أنجلس خدمته العسكرية في أيلول ١٨٤٢ وسافر إلى إنكلترا ليشغل وظيفة كاتب في شركة غزل (إيرمين وأنجلس) حيث كان والده شريكاً في ملكيتها. وفي طريقه مرّ بكولون والتقى بشكل سريع كارل ماركس في مكتب تحرير مجلة (راينيخه تزايتونغ). ولم تترك هذه المقابلة انطباعاً قوياً لدى أي منهما عن الآخر. إن لم نقل أن كلاً منهما لم يرتح إلى صاحبه نتيجة آراء مسبقة مستقاة من الآخرين.

في انكلترا، وبحكم مهنته، وطوال واحد وعشرين شهراً لاحظ أنجلس مدى تطور الصناعة الإنكليزية، وظهور طبقات جديدة واستفحال التناقضات الطبقية. وكذلك أدرك أن المباحث التاريخية لا تعطي أهمية تُذكر للعامل الاقتصادي على الرغم من أنه العامل التاريخي الرئيس في العالم الحديث.. وإن التناقضات الطبقية العدائية "نشأت كلية نتيجة تطور الصناعة الكبيرة. وهي تمثل أساس تطور الأحزاب السياسية والصراعات السياسية، وبالتالي تمثل أساس التاريخ السياسي كله". وإذ نشر ماركس في (دويتشة ياربشر) مقالته في نقد القانون فإن أنجلس نشر مقالة في نقد الاقتصاد الوطني، سيصفها ماركس بأنها "من هيكل تخطيطي لامع". وبذا سبق أنجلس ماركس في الالتفات إلى الشأن الاقتصادي مبدياً ملاحظات ذكية حملت "بذور الشيوعية العلمية في الحقل الاقتصادي". ومقالات أنجلس هي التي قادت ماركس، بعدئذ، إلى الانغماس في دراسة الاقتصاد السياسي، والتوصل إلى اكتشافاته العبقرية في ذلك الحقل.

وكان أنجلس متواضعاً جداً، يبخس من قيمته ويعلي من قيمة ماركس.. يقول: "ماركس كان أعظم منّا جميعاً، كان يرى أبعد منا وأكثر منا وأسرع منا". وبطبيعة الحال هذا بعد أن يلتقيا ثانية في باريس (أيلول ١٨٤٤) ويبدآن عملهما الفكري المشترك. ولا ريب أن كلاً من الشابين أثر على الآخر بعمق وقوة. ويبقى السؤال: ماذا لو لم يعرف أحدهما الآخر، أو أن أحدهما لم يكن موجوداً قط؟ هل كان بإمكان أنجلس التوصل استناداً إلى المقدمات التي وضعها إلى تلك المنظومة الفكرية التي صمّمها ماركس فيما بعد؟ أو هل كان لماركس أن يقع على تلك المقدمات، وأيضاً، فيما بعد من غير معونة أحد؟ وماذا كان يمكن أن تكون مصائر الفكر الاقتصادي والسياسي واتجاهات التاريخ إذا افترضنا عدم حصول علاقة الصداقة بين ماركس وأنجلس؟

وإذ يتحدث معظم مؤرخي الفكر الماركسي عن التأثير المؤكد لأنجلس على ماركس ودفعه إلى المناطق المبدعة، إنْ كان من طريق التعزيز النظري أو الدعم المعنوي والمادي، فإن هناك من يرى أن أنجلس حرّف ماركس عن مساره الأولي الذي كان يمكن أن يكون مثمراً أكثر (من غير إشعاعات أنجلس الفكرية الملهمة). وها هو جان بول سارتر يطلق على لقاء الشابين بالمشؤوم في كتابه (المادية والثورة). لأن ماركس، قبل ذلك اللقاء، كان يمضي باتجاه تأكيد النزعة الإنسانية لنضال العمال الذين كما يقول سارتر: "لم يطالبوا فقط بكسب زيادة بعض الدراهم ولكن كانت مطالبتهم رمزاً مجسّماً في اقتضاء أن يكونوا بشراً وآدميين. وآدميون تعني حريات تملك ناصية مصيرها". فضلاً عن ضرورة اقتران الذاتية مع وجود العالم في واقعية الرجل الثوري إلى الحد الذي "لا يمكن تصوّر ذاتية خارج العالم، ولا عالم بغير إيضاح الجهد الذاتي". وعلى حد تعبير سارتر "إن هذه كانت وجهة نظر ماركس سنة ١٨٤٤، قبل لقائه المشؤوم مع أنجلس". أي أن البعد الوجودي، بحسب سارتر، قد غاب عن فكر ماركس في اللحظة التي انقاد فيها بهوس إلى تخريجات أنجلس المذهلة لينطلق منها، بعد مدة قصيرة، إلى بناء منظومته النظرية. وإذن فسارتر بفكره الوجودي لم ينظر بعين الرضا إلى المنهج المادي الديالكتيكي والنظرية المادية التاريخية مثلما أنضجهما ماركس برفقة أنجلس طوال العقود التالية.

وبعيداً عن تخيل افتراضات واحتمالات لم تحصل في سياق الزمان والتاريخ فإن من الإنصاف الإشارة إلى حقيقة أن ماركس لم يكن مراهقاً فكرياً وسياسياً ضيق الفكر وفج العقل ومائع العاطفة ليستدرجه أنجلس إلى حيث يرغب. بل إنه اقتنع تماماً بصحة القواعد النظرية التي أرساها رفيقه في مقالاته الأولى، ليغنيها ويطورها هو (ماركس). وأن الاثنين شيدا صرحاً منهجياً ونظرياً عملاقاً ما زال يلهم العقول ويؤثر فيها على الرغم من إخفاقات عشرات التجارب التي تبنت الماركسية وادعت ملكيتها وتمثيلها، هنا وهناك، في القرن العشرين.

الصديقان

عرض أنجلس الظروف اللا إنسانية المأساوية التي كان العمال يعيشونها في ظل الرأسمالية في كتاب (حالة الطبقة العاملة في إنكلترا)الذي نشر في ليبزغ في عام ١٨٤٥ واصفاً هذا الكتاب بعد عشرين سنة بأن موضوعاته تنطوي على العلامات التي يحملها أصل الاشتراكية الحديثة من واحد من أجدادنا هو الفلسفة الألمانية الكلاسيكية". وفيه يفصح المؤلف الشاب عن مقدرته على فهم روح نمط الإنتاج الرأسمالي، مفسراً "صعود البرجوازية وكذلك انحطاطها، وتعاسة البروليتاريا وكذلك خلاصها". وكيف أن الصناعة الكبيرة التي خلقت البروليتاريا "تتطور بفعل الجدل التاريخي الذي يبين قوانينه بالتفصيل، إلى حد أنها تطيح بخالقتها (البرجوازية)". ويذهب فرانز مهرنغ إلى حد القول بأن أنجلس المتمكن من الجدل الهيغلي قد أوقف في كتابه الآنف الذكر ذلك الجدل على قدميه بدلاً من أن يتركه واقفاً على رأسه.

راح أنجلس يحث ماركس على إتمام بحوثه في حقل الاقتصاد السياسي ونقده.. يقول في رسالة لماركس: "إنه عملك الاقتصادي، حتى لو لم تكن راضياً عنه تماماً. فهذا ليس أمراً مهماً. إن عقول الناس ناضجة الآن وعلينا أن نطرق الحديد قبل أن يبرد.. الوقت يمر بسرعة... اعمل مثلما أعمل: حدد موعداً للانتهاء من العمل، ثم اعمل على طباعته بأسرع ما يمكن". وحين طُرد ماركس من باريس كتب إليه أنجلس "لنقتسم بيننا بطريقة شيوعية كل النفقات الإضافية التي كان عليك أن تتكبدها". وأنجز الصديقان أول عمل مشترك لهما هو (نقد النقد النقدي) أو (العائلة المقدسة) مثلما ارتأى ناشرهما أن يكون العنوان، والذي ينطوي على نوع من السخرية من الأخوة باور (برونو وإدغار واغبرت) ومن يشايعهم في طروحاتهم في صحيفة (الغماينة ليتراتور تزايتونغ). إذ عدّ أنجلس ما آلت إليه الهيغلية في تلك الصحيفة مجرد سخافة. وهنا صاغ ماركس للمرة الأولى "تقويماً تاريخياً وفلسفياً للفلسفة الهيغلية، جرى تطويره لاحقاً في كتابهما المشترك الثاني؛ (الإيديولوجية الألمانية) وقد أثبت ذلك انه مثمر للأطوار الأخيرة من تطور ماركس، حيث تقويمه لفيورباخ. وبالتالي تقويمه لنقد فيورباخ لهيغل"، كما يقول يندريش زلني في كتابه (منطق ماركس). وقد دافع ماركس عن الثورة الفرنسية التي كان يحقرها باور فيما دافع أنجلس عن التاريخ الإنكليزي. غير أن الكتاب، في النهاية كان في معظمه من تأليف ماركس الذي كتب منه ثلاثمائة صفحة، فيما لم تتعد مساهمة أنجلس فيه العشرين صفحة.

كان ماركس في بروكسل ربيع ١٨٤٥ حين وصلها أنجلس. وسافر الصديقان إلى إنكلترا ليمكثا هناك ستة أسابيع منكبين على الدراسة، ولمّا عادا قررا تصفية حسابهما مع "ضميرهما الفلسفي السابق" بنقد الفلسفة ما بعد الهيغلية وممثليها فيورباخ وبرونو باور وشتيرنر، وكذلك الاشتراكية الألمانية. وكانت الحصيلة كتاب (الإيديولوجية الإلمانية) بمجلدين وثمانمائة صفحة.

كان الكتاب سجالياً، جافاً نوعاً ما في أغلب فصوله، وفيه إسهاب لا مسوّغ له أحياناً. لكنه في النهاية ينبئ عمّا يمكن لهذين المفكرين الشابين أن يفعلاه في ميدان الفلسفة والفكر الاقتصادي بعد سنوات قليلة.

استأنف الصديقان شن هجماتهما المشتركة ضد المفكرين البرجوازيين والاشتراكيين الطوباويين والديماغوجيين ومن يُدعون بأصحاب الاشتراكية الحقة. وكانت الجماعة الشيوعية تنمو من حولهما في بروكسل في حدود عام ١٨٤٧. وكان من أصدقائهما المقربين في هذه المرحلة من حياتهما فيلهم وولف الكاتب بالأسلوب الشعبي والذي توفي مبكراً. وكان هناك فرديناند وولف، وارنست درونكه الذي حكم عليه بالسجن سنتين بتهمة طعن الذات الملكية، والشاعر جورج ويرث، الذي لم يعمّر طويلاً هو الآخر. وأقام ماركس وأنجلس علاقات جيدة مع المشتركين في ثورة ١٨٣٠ في بلجيكا. وكان لهما أصدقاء في كولون. وكانت لهما اتصالات مع الحزب الاشتراكي الديمقراطي في باريس. وانضما إلى (رابطة العادلين) والتي سميت بالعصبة الشيوعية، حيث عقدت مؤتمراً صيف ١٨٤٧ معيدة تنظيم نفسها في خلايا وحلقات وقيادة وسلطة مركزية ومؤتمر، معلنة أن هدفها: "هو الإطاحة بالبرجوازية وإقامة حكم البروليتاريا، وإلغاء المجتمع القديم الذي يقوم على تناقضات طبقية. وبناء مجتمع اشتراكي جديد لا طبقات فيه، ولا ملكية فردية". وبناء على طلب الرابطة وضع ماركس وأنجلس بياناً للمؤتمر. ويكتب أنجلس لماركس يقترح عليه التخلي عن الشكل التعليمي في الكتابة وتسمية ما يكتبانه بـ (البيان الشيوعي)، إذ ليس القصد تحريض العمال على الثورة وحسب، بل إعطاء شكل علمي رصين لنص تقدّم عبره الطبقة العاملة نفسها إلى العالم.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.

ideas@almadapaper.net